قيم المواطنة لدى الشباب تائهة بين الطائفة والقومية والعرق

شعارات المحتجين في لبنان والعراق تمثل نقطة تحول في وعي الشباب

يعيش جيل الشباب حالة من الاستقطاب العرقي والديني، فاقمت من أزمة الانتماء للوطن، ومع حالة الصراعات والنزاعات أصبح الولاء للمعتقد والعرق قبل الوطن، ومفهوما الطائفة والمواطنة يبدوان وكأنهما يزدادان تباعدا عن

رويدة رفاعي صحافية سورية

سنى شيعي قبطي درزي ماروني أرذوكسي، كردي نوبي تركماني أمازيغي ... ثم يأتي الوطن، عين على الطائفة أو القومية أو العرق وعين على الوطن، هو حال الشباب في الدول العربية ذات القوميات والطوائف المتعددة وريما ليس مـن قبيل المصادفـة أن هذه الدول تعيش أوضاعا صعبة وسط الاحتجاجات والتدهور الاقتصادي والانقسامات

وتقع مسؤولية هذه الأوضاع الكارثية وفق النظريات المتوارثة على مر الأجيال، علئ المؤامرات الدولية والمصالح الأجنبية وطمع الغرب بشروات البلاد وخبراتها وإمكانياتها والصهبونية والإمبريالية العالمية وقائمة طويلة من الاتهامات والمبررات، لكن ليس من ضمنها أن إحساس الجيل الجديد بالانتماء للوطن يخبو أمام الطائفة أو القومية أو العرق أو القبيلة.

الانتماء إلى هذه الفئة أو تلك تتبعه مباشرة حالة سريالية من مثالية الـ"نحـن" الضامنيـن لوحـدة الوطـن والأحق بالتسيد والتمثيل الشرعى للبلاد بصبغة وطنية بحتة، بمقابل شيطنة الـ"هـم" الذيـن يهددون وجـود الأقليات الأخرى والباحثين عن السيطرة والهيمنة رغم أنهم أقل منزلة وقدرا ومكانة.

والمفارقة أن هذه الحالة من الاستقطاب العرقي والديني ظاهرة يعيشها الجيل الحالي، ولم تكن بهذه الحدة لدى الأجيال الأكبر سنا التي عاشت قيما وطنية أكثر وضوحا وحرصا علىٰ التماسك الاجتماعي مما هو قائم اليوم، حيث تفاقمت أزمة القيم الوطنية التائهة بين المعتقدات الدينية والمذهبية والقوميات المتعددة، وكرستها التنظيمات المتطرفة التي سددت ضربة قاضية لمفهوم الوطنية عند العديد من

الحياد ممنوع

ساهمت التنظيمات الدينية المتشددة ليس فقط بالتأثير على أتباعها ومناصريها والمؤيدين لفكرها بجعلها وإقصاء الآخرين المخالفين لها، بل حتى أولئك الذين التزموا الصمت ووقفوا على الحياد لأسباب عديدة أصبحوا فئة أخرى لا تنتمي لهذه ولا لتلك، ولا تستحق الانتماء للوطنّ بمفهوم المختلفين.

وتفشئ الاحتماء بالجماعة الدينية أو العرقية والانتماء للمعتقد قبل كل شيء، بينما انحسس الانتماء لللأرض والوطن الجامع لكافة هذه الفئات، ومع الدخول فسى دوامسة العنف فسى المنطقسة والتي يتسع نطاقها باتساع التحالفات وتفاوت المصالح، زادت من نسبة الشباب المدينيين بالولاء للمعتقد والعرق قبل الوطن، مهما عنى الوطن لهم، ومفهوما الطائفة والمواطنة يبدوان وكأنهما مزدادان تباعدا عن بعضهما البعض في بلدان كالعراق وسوريا ولبنان ومصر ودول عربية أخرى.

وتبعها حالة من اليأس بين الشباب من إمكانية التغيير إذ يقول أحد الشبباب العراقيين "في معظم مدن المسلمين تجد بروز طائفة مًّا، وتقوم ببناء المساجد الخاصلة بأبناء طائفتها وتدرس مذهبها الديني في المدارس وتفرض معتقداتها على الجميع، وهذا

يعنى الانفصال والانعزال التام

عن أبناء الطوائف المختلفة".

الوعي الشيعي

لكن الانتفاضة الشعيبة فى العراق أعادت بعض الأعتبار للقيم الوطنية مع رفع المتظاهرين الشبباب شعارات ضد الطائفية



والمذهبية. وشملت شعارات المتظاهرين المطالبين بالقضاء على الفساد، مطالب فصل الدين عن السياسية، لتكون بمثابة الشيرارة الأولئ لبدء استعادة قيم المواطنة التى تجمع تحت مظلتها جميع الطوائف والأعراق والقوميات، مهما بدا

2003 وتشــريعاتها، والتنديــد بعمليــات

القتل والاختطاف والاختفاء القسري

التى تتحمل مسؤوليتها الميليشيات

المسلحة التي ترفع الشلعارات الدينية

في استعراضاتها العسكرية معلنة أن

المعتقد فوق الجميع. ورغم عمليات قمع

مطالب فصل الدين عن

السياسة الشرارة الأولى لبدء

استعادة قيم المواطنة التي

تجمع تحت مظلتها الطوائف

والأعراق

هدفا بعيد المنال.

وأطلق البعض عبارة "الوعى الشيعي" على احتجاجات الشباب التي انطلقت في عدة محافظات مطلع أكتوبر 2019 وفــى مقدمة المطالــب التخلص من النفوذ الإيراني وإيقاف العمل بعملية الموالين لإيران. المحاصصة الطائفية القائمة منذ عام

سائل التواصل الاجتماعسي للت منهم في كافة المناصب.

أهدافها وغاياتها، إلا أن الكثيرين بنظرون إليها باعتبارها تمثل نقطة تحول في وعي الشباب العراقي، لتحرك الوطنية داخله نحو عراق جديد تذوب فيه النزعة الطائفية والسياسية والمناطقية والقومية.

. مثلـت احتجاجات الشــباب اللبناني المتزامنة مع الاحتجاجات العراقية بارقة أمل بتغيير الذهنية السائدة قبل الأوضاع على الأرض، حيث تؤكد مي الخطيب عضو الحركة الشبابية للتغيير

الموروث السياسي الطائفي الذي يملى علينا حياتنا من المهد إلىٰ اللحد، وحتىٰ مثوانا الأخير ليس مكانا نختاره نحن بل بقعة أرض تحددها طائفتنا". وأضافت أن غياب "الدولة الخدمية" لزعماء الأحزاب

يوفر بيئة مناسبة السياسية التى تتخذ من الطائفة غطاء لها كي يقدموا الخدمات التي تنقص مؤيديهم

المتظاهرين الشبباب والقتل والاختطاف والانتشار الأمنى المكثف لميليشيات الحشيد الموالية لطهران والمستلحين الملثمين بالملابس السوداء، ومن خلفهم حكومة تتحايل على مطالب المحتجين،

> استمر الشباب بالخروج إلى الشوارع. وجاءت الاستجابات الحكومية فارغة من أي تعهدات بالقيام بأي إصلاحات سياسية مثل تفعيل قرارات حل الميليشسيات العسكرية الحشد الشعبي وتحجيم نفوذ قوى تحالف الحق،

وتختلف هذه الاحتجاجات عن مثيلاتها في السابق وتتميز عنها بأنها تقوم على أساس وطني، لم تنسقها جماعــة سياســية أو دينيــة أو حزبيــة، ولكنها جاءت نتيجة لاحتكار الموالين لاسران للسلطة والحكم وممارستهم الفاسدة، حيث تزايدت الدعوات عبر

ورغم أن هــده الاحتجاجات لم تحقق

ولا تبعد أوضاع لبنان كثيرا عن الحالة العراقية، حيث شكلت الفسيفساء الدينية والطائفية حجر عثرة أمام وحدة الانتماء للوطن، وتقدم البلاد والارتقاء بمستواها المعيشي والسياسي حيث يهيمن الانتماء الطائفي على كافة مفاصل

أن "أعدادا متزايدة من الشبباب سئموا

والمنتمين لجماعاتهم،

وبهذه الطريقة "تحل الطائفة محل

انا جو كر لبلدي

لا سیاسی ولا خیل ولا بعثیی

تصريحات الخطيب تشيير إلى مدى وعى الشبباب اللبناني وإدراكهم لحقيقة مزاعه السياسيين الحريصين علئ المحاصصة الطائفية وإبقاء الأوضاع الراهنة على ما هي عليه لبقاء شباب الطائفة والحزب تحت أجنحتهم وولائهم ىدلا من الوطن.

ويتحدث الكاتب جيمس دورسيي في مقال نشــره موقع "أوراســيا ريفيو" عن احتجاجات الشُّباب على الأوضاع في لبنان والعراق، قائلًا إن الاحتجاجات في لبنان تطورت إلى أكثر من مجرد صراع ضد حكومة فاشطة وفاسدة إلى المطالبة بإصلاح دستورى، وإن العراقييان يحتجون ضد الفساد وضد النفوذ الإيراني في البلاد، مضيفا أن هذه المظاهرات تجاوزت الطائفية.

لبنان عن عدة مواجهات مع الحكومة امتدت شرارتها ضد حكومات أخرى أعاقت حركة التنمية في دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وطالب المحتجون بضرورة إنشاء نظام سياسى واجتماعي يرتكز على الهوية الوطنية لا الطائفية أو العرقية فهتفوا في احتجاجاتهم عدة شيعارات منها 'واحدّ، واحد، واحد، كلنا شـعب واحد'. وتأكيدا لذلك شكل عشرات الآلاف من المتظاهرين سلسلة بشرية امتدت على طول ساحل البحر المتوسط في لبنان".

غضبنا يقربنا

إذا نجح المحتجون في تحقيق مطلبهم في القضاء على الطائفية وترجمة ذلك إلى إصلاح دستوري، سيساهم هذا بالطبع في جعل الاحتجاج أداة فعالة للتغيير، إلا أن هذا كله يتوقف على مدى إدراكهم للمصلحة المشتركة في تجاوز الطائفية والعرقية والطبقية.

وأشادت صحيفة "لوموند" الفرنسية بتجربة الشباب اللبنانية في تجاوز اختلافاتهم الطائفية والاجتماعية لمصلحة الوطن، وتحت عنوان "غضبنا يقربنا، أسقطنا جدار المخاوف الطائفية: الشعب اللبناني متحد ضد قادته"، أوضحت الصحيفة أن مئات الآلاف من اللبنانيين يتظاهرون في أجواء استثنائية من الحماسة والاتحاد رغم خلافاتهم الطائفية التي مزقت بلادهم

ولأول مرة منذ الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت أكثر من 16



حكومتهم، المتهمة بالإهمال والفساد. كما برزت دعوات الشباب على الشبكات الاجتماعية للعمل على تقديم الوطن والدولة على المعتقد والمذهب، بغية مواكبة ركب الدول المدنية التي تتخذ من الوطن عنوانا والعقيدة هامشياً.

ويحاول البعض وضع إصبعه على نقاط الضعف والأسباب وراء أزمة الهوية الوطنية أو الإحساس بالانتماء، ويقول

المختصون في علم الاجتماع إن في مقدمة هذه الأسباب العوامل التربوية، لأن نقص التوعية الوطنية والاجتماعية مسـؤول عـن فقدان الشعور بالانتماء والهوية الوطنية، فالجيل الجديد نشا في مرحلة حرجة شهدت الكثير من النزاعات والصراعات في المنطقة العربية، وتصاعد الفكر المتطرف والإرهابي والتدخلات الخارجية، ما خلف لدى الناس على اختلاف انتماءاتهم الهواجس والمخاوف مـن كل ما هـو مغاير في الديـن والعرق والقومية. كذلك فإن إحسَّاس الشباب

بداية التغيير نحو قيم المواطنة

بالظلم وأن حقوقهم مهدورة وحاجاتهم مهملة، يجعلهم يفقدون الشعور بالانتماء. حادثة فلويد تكشف كذبة «أميركا بوتقة انصهار الثقافات»

👤 تشيير الاحتجاجات التي تنتشر في الولايات المتحدة الآن إلى أن أزمة المواطنة لا تتعلق فقط بالشباب في العالم العربي، فأوجه التربية غير الجامعة في المجتمع الأميركي أيضا وقفت عائقا أمام تقبل ذوي الأصول الأفريقية كمواطنين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

ويلقي الكثيرون باللوم على الرئيس الأميركيي دونالد ترامب في ما تشهده الولايات المتحدة من انقسام مجتمعي، وفى طريقة التعامل العنيف للشرطة مع المتَّظاهرين، لكن الغضب المتصاعد في البلاد له جذور أعمق من ذلك.

وذكرت دويتشه في تقرير لها، أن وصــول بـــاراك أوبـامـــاً كأول رئيس أميركـي من أصول أفريقيــة إلىٰ الحكم في الولايات المتحدة لم يكن أمرا جيدا لدى البعض ممـن يكرهون الآخر المختلف، غير الأبيض، غير الأميركي، المهاجر، حتىٰ وإن كان أوباما هو مجرّد وجه أسمر لأفكار وقيم الرأسمالية الأميركية التي أصبحت نهجا صريحا للإدارة السياسية على الأقل منذ عهد رونالد ريغان، ليتعـزز مع الوقت تمايز حاد بين تيارين في الولايات المتحدة هما نفسيهما يعانيان من انقسامات داخلية: يمين متطرف ويسار يبدو في طريقه إلىٰ ذلك.

وظهرت على سطح الأحداث الأخيرة التى أعقبت مقتل جورج فلويد حركة أنتيفًا، لتظهر في المقابل تصريحات على شبكات التواصل الاجتماعي

لأنصار ترامب أبدى بعضهم خلالها استعدادا تاما للنزول إلى الشوارع وإنهاء حركات الاحتجاج خلال 24 ساعة في تهديد واضح باستخدام

وهدا التهديد تلقاه الجميع بقلق شديد تزامن مع تصاعد نبرة الحديث للتيار اليميني في وســائل الإعلام، كما يظهر من تصريحات جاريد تايلور محرر مجلة "النهضة الأميركية" ذات التوجه العنصري.

وبعد أن كانت أميركا هي بوتقة انصهار الثقافات والمعارف المختلفة للمهاجرين، تضاءلت اللحمة الاجتماعية وتعاظم الانقسام المجتمعي وأصبح العدو داخليا مع تصاعد الخطاب العنصري والذي يُتهم ترامب بشكل أساسى أنه المتسبب فيه، إلىٰ جانب عوامل متعددة ساهمت في تراجع تأثير الطبقة الوسطئ المتعلمة التي كان يعول عليها أي مرشــح للرئاسة في مقابل تنامى التطرف اليميني.

ويخشعى مراقبون من أن تهديد ترامب بإعلان حركة أنتيفا المعادية للفاشية واليمين المتطرف والرأسمالية وكل من يستهدف المهمشين والأقليات، "حماعــة إرهابيــة" قد يمهــد لمكارثية جديدة في الولايات المتحدة يتم على إثرها إطلاق حملة اعتقالات ضخمة تضم كل من يكرهه ترامب أو يخشاه، لتتكرر كارثة المكارثية التي أخذ المجتمع الأميركي وقتا طويلا ليتعافى